منهج الإمام الرازي في توجيه المتشابه اللفظي في تفسيره الكبير

أ.د. عودة عبد الله[1]

محمد وصفي جلاد[2]

(مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت – موافقة على النشر بتاريخ 2021/10/19)

(1) رئيس قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

(2) باحث في الدراسات القرآنية.

منهج الإمام الرازي في توجيه المتشابه اللفظي في تفسيره الكبير

المُلَخَّص

تتناول هذه الدراسةُ، موضوعَ المتشابه اللفظي، في التفسير الكبير للإمام الرازي (مفاتيح الغيب)، من حيث منهجه في توجيه الاختلافات اللفظية بين الآيات المتشابهة، وذلك بعد استقراء تفسير الرازي لآيات المتشابه اللفظي، ثم دراسته وفق المنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

وجاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين، الأول: حول الأُسُس التي استند إليها الرازي في توجيه المتشابه اللفظي، والثاني: حول المآخذ التي تُنتقد على منهجه.

وتوصلتْ الدراسة إلى أن الرازي كان يراعي الرُّكْنَيْنِ الأساسِيَّيْن في علم توجيه المتشابه، وهما:بيان الفرق بين الألفاظ المتشابهة، وبيان مناسبة كل لفظ لسياقه. وله في كُلٍّ من الرُّكنين أسسيستند إليها، ومسالك يتبعها. بَيْدَ أنه يؤخذ عليهاقتصاره في كثير من المواضع على بيان الفرق اللغوي دون ربطه بالسياق، وكذلك نَفْيُه وجودَ أي فرقٍ بين بعض المتشابهات، وهي مآخذ لا تُنْقِصُ من قدر هذا الإمام المفسر، ولا من جهده وإبداعه في هذا المضمار.

الكلمات الدالة: الرازي، التفسير، المناهج، المشابه اللفظي

Al-Razi's Approach in Conveying the Verbal similarities in his Tafsir "Mafatih-ul-Ghaib"

Odeh Abdullah (An Najah National University- Palestine)

Mohammad Jallad (Minestry of education)

Abstract

This research paper is an attempt to investigate the topic of verbal similarity in Imam al-Razi Tafsir of "Mafatih-ul-Ghaib" in terms of his approach of exploring the verbal differences between the similar verses in the Quran and then analyzing his approach according to the analytical and critical methods.

The study comprises two parts, the fir part investigates the foundations upon which Al-Razi relied in directing the verbal similarity, and the second part discusses the different views that criticized his approach.

The study concluded that Al-Razi was - in general - taking into account the two main pillars in the science of directing Verbal similarities, namely: stating the differences between similar expressions, and stating the suitability of each word for its context. However, he is criticized to restrict himself in many places by explaining the linguistic difference without linking it to the

context and denying the existence of any difference between some of the verbal similarities. These defects do not detract from the value of Imam Al-Razi, nor his effort and creativity in this field.

Keywords: AL- razi, Tafsir, methods, Verbal similarities

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ووضع الميزان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مدى الزمان، وبعد:

فمن سِمات كتاب الله العزيز، أنْ جَعَلَهُ مثانيَ مُحْكَماتٍ مُعْجِزاتٍ، فهو في الظاهر يُكَرِّرُ بعض المعاني والألفاظ، إلا أنه عند التأمل والتدبر، لا يُكرِّرُها إلا لحِكَمٍ بالغاتٍ، منها التأسيس والتأكيد، والتفريع والتجديد، ومنها إظهار سمو بلاغته، وشرف فصاحته، ومنها طيُّ فوائده وفرائده، تحت أستار تُغري العقول، فلا يتوصل لاستنباطهاإلا باجتهاد الفُحول، ومنها كشف عجز البشر عن الإتيان بمثل كلامه من كل وجه؛ ذلك أن البراعة والفصاحة قد تَسْهُل بنظم الكلام على وجه واحد، أما إعادته على نُظوم جديدة، بأساليب بديعة، مع الحفاظ علىالرتبة ذاتها في جمال المباني، وروعة المعاني، وحسن النظم، فهو خارق للعادة، مُعجز للفُصحاء.

لذلك حَرَص المفسرون قديمًا وحديثًا، على توجيه المتشابهات اللفظية وبيان أسرارها؛ لكشف فصاحة القرآن، وشفاء خَطَرَات الجَنان، وردِّ تَوَهُّمَات التَّكرار بلا حسبان، وليعلموا أن الذي أنزل الكتاب والميزان، جعل كل كلمة فيه وكل حرف بحسبان وميزان.

وقد كان الإمام الرازي من أوائل من انْبَرَوْا لهذا الفن من فنون علوم القرآن وتفسيره، فأفاد وأجاد، وكانت له بصمة واضحة، وأثر مبارك، انتفع به من بعده، وتسعى هذه الدراسة لبيان طرفٍ من جهده وأثره، ولدراسة منهجيته في توجيه تلك المتشابهات، عسى الله أن يجعل لنا فيها خيرًا وأجرًا وذُخرًا، وأن يُسَهِّل لنا بها طريقًا إلى الجنة، بفضله ومَنَّه، إنه حليم غفور.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع التشابه اللفظي في القرآن الكريم، بعدد وافر من المؤلفات والدراسات قديمًا وحديثًا، ومن تلك الدراسات ما تناول جميع مواضع التشابه بالدراسة، أو أغلبها، نحو (درة التنزيل وغرة التأويل) للخطيب الإسكافي. ومنها دراسات اكْتَفَتْ بحصر مواضع التشابه اللفظي من غير توجيه لما فيها من بلاغة وأسرار، كدراسة: (دليل المتشابهات اللفظية) لمحمد الصغير. ومنها ما يتناول نوعًا معينًا من أنواع التشابه اللفظي،

كدراسة (أسرار تقديم الألفاظ وتأخيرها في المتشابه اللفظي في القرآن) لإبراهيم الهنائي. ومنها ما خُصص لدراسة كتاب من كتب المتشابهات اللفظية، كدراسة: (المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل) لفاضل السامرائي. ومنها ما قصد إلى سورة محددة، كدراسة: (بلاغة المتشابه اللفظي في سورة التوبة) لريم القحيز.

ولم أجد –فيما وقفتُ عليه–دراسات وُجِّهَتْ لكشف مناهج المفسرين في توجيه المتشابه اللفظي، باستثناء دراسة مختصرة اطلعت عليها مؤخراً، وهي بعنوان: (تأويل المتشابه اللفظي عند الإمام الرازي: سورة الكهف أنموذجاً) وهي عبارة عن بحث مختصر منشور في مجلة الفنون والأدب بالجامعة العراقية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن معظم تلك الدراسات، توجهت نحو إبراز الجانب البلاغي في المتشابهات اللفظية، وليس لكشف منهج العلماء في توجيه التشابه اللفظي، فاخترتُ واحدًا من أبرز علماء التفسير وأئمتهم، من الذين جعلوا لتوجيه المتشابه اللفظي حظًّا وافرًا من تفاسيرهم، في محاولة لسبر مسالكه وطرائقه في التوجيه، وصياغتها في قواعد، تمنح الدارسين مفاتيح في التعامل مع المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تعالج مسألة مهمة من مسائل علوم القرآن، وهي المتشابه اللفظي، فتُسهم أولًا في تقديم إجابات لما قد يطرأ من إشكالات في فهم آيات التشابه اللفظي في القرآن، وتسهم ثانيًا في محاولة الكشف عن منهجيات وأسس التعامل مع المتشابه اللفظي، ثم تُسهم ثالثًا في إبراز جانب من الإعجاز البياني للقرآن، وهي أخيرًا تُسهم في بيان منهج عالم من أبرز علماء التفسير، وما له من دور في هذا الفن.

مشكلة الدراسة:

تتخلص مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل كان للفخر الرازي منهجية منضبطة في توجيه المتشابهات اللفظية؟
- ما هي الأسس التي استند إليها الإمام الرازي في توجيه المتشابه اللفظي؟
- ما هي المداخل والمسالك التي يُمكن استنتاجها من منهج الرازي، للكشف عن الاختلافات بين السياقات التي وردت فيها المتشابهات اللفظية؟
- ما مدى دقة توجيهات الرازي للمتشابه اللفظي؟ وما هي المآخذ عليه؟

منهجية الدراسة:

يقتضي هذا النوع من الدراسات سلوك المنهج الاستقرائي أولًا،فعمدتُ إلى بعض الكتب التي خُصصت لإحصاء مواضع التشابه اللفظي في القرآن الكريم كدراسة: (دليل المتشابهات اللفظية)، و(دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ)، فما كان من تلك المواضع متفقًا مع حدود الدراسة، رجعتُ إلى تفسير الرازي له، حتى جمعتُ معظم ما تطرق له الرازي من توجيه التشابه اللفظي، ثم سلكتُ المنهج التحليلي؛ لاستنباط منهجه في توجيهها، ثم المنهج النقدي.

خطة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيدومبحثين،هما:

المبحث الأول: الأسس التي استند إليها الرازي في توجيه المتشابه اللفظي

المبحث الثاني: نقد منهج الرازي في توجيهه المتشابهات اللفظية

تمهيد

أولاً: تعريف بالإمام الرازي وتفسيره

هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري القرشي، الملقب بفخر الدين الرازي، أصلهمن طبرستان، ولد عام 544هـ في الرَّي، ويُنسب إليها فيقال (الرازي)، ويسمى (ابن خطيب الرَّي) نسبة إلى أبيه العالم ضياء الدين الخطيب، وتوفي الرازي سنة 606هـ في مدينة هراة ودفن فيها[3]، وذكر السيوطي أنه من ذرية أبي بكر الصديق[4].

كان نسيج وحده وفريد عصره، فاق أهل زمانه،فكان إمامًا في علوم شتى، منها علم الكلام والعقائد، وهو منأئمة الفقه الشافعي، كما نبغ فيالطب والأدب والشعر والعربية والفارسية[5]، وذكر بعضهم أنه مُجَدِّدُ المئة السادسة[6].

---

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**. (4/ 248). الذهبي: **سير أعلام النبلاء**. (21/ 500). الزركلي: **الأعلام**. (6/ 313).

(4) السيوطي: **طبقات المفسرين**. (ص: 115).

(5) الذهبي: **تاريخ الإسلام**. (13/ 137). الصفدي: **الوافي بالوفيات**. (4/ 175). السبكي: **طبقات الشافعية**. (8/ 82).

(6) ابن العزي: **ديوان الإسلام**. (2/ 340).

وتفسيره (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير)، تفسير كبير الحجم؛ ذلك أن الرازي كان مولعًا بالاستطراد وكثرة الاستنباطات والاستدلالات والردود والمناقشات، فتجد فيه مباحث في العلوم الرياضية والطبيعية والكونية والفلسفية، فضلًا عن المباحث الفقهية والنحوية والبلاغية والعقدية[7].

ويرى كثير من العلماء والباحثين أن الرازي لم يكمل تفسيره كله، واختلفوا في مقدار ما أَتَمَّهُ من التفسير، كما اختلفوا فيمن أَتَمَّ الباقي[8]،أما المُعَلِّمِيُّ فقد قام بدراسة تحقيقية قيمة، توصل فيها بعد تمحيص وتدقيق، إلى وجود اثنتي عشرة خصيصة أسلوبية، يمكن بها التفريق بين أسلوبين في التفسير، موجودين داخل الكتاب، أسلوب الرازي، وأسلوب المُتمِّمَيْنلتفسيره، (أحمد بن خليل الخُوَيِّي ونجم الدين القَمُولي)[9] ،وخلصإلى أن الرازي فَسَّرَ القرآن كُلَّه، عدا أربعة أجزاء وربع تقريبًا، متفرقات، في العشر الأخير من القرآن، وهي: العنكبوت والروم ولقمان والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس، ثم محمد والفتح والحجرات وق والذاريات والطور والنجم والقمر والواقعة، ثم الممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم[10]، ولعل من أتمَّه اعتمد على مُسَوَّدَاتٍ للرازي كان يُمْلِيها عليهم، أو عثر عليها، ثم قام بتبييضها[11]. وبناء على ما سبق، فحيثما قلتُ في هذه الدراسة: (قال صاحب التفسير) أو: (جاء في تفسير الرازي)، فهذه إشارة إلى احتمالية أن يكون هذا القول لمن أَتَمَّ تفسير الرازي، وحيثما قلتُ: (قال الرازي)، فهو مما تأكدتْ نسبته للرازي رحمه الله.

وتفسير الرازي يُعَدُّ من كتب التفسير بالرأي المحمود، ويُحسب على الاتجاه العقدي في التفسير[12].ويمكن بيان معالم منهجه في التفسير من خلال الأمور الآتية:

1- الحرص على بيان مناسبة الآيات لما قبلها وارتباطها معها، وعادة ما يُعَبِّرُ عن ذلك بكيفية النظم، يعني نظم آيات المقطع مع ما قبلها[13]، كما يذكر أحيانًا مناسبة السورة مع ما قبلها[14]، فهو من أوائل التفاسير التي اهتمتْ بعلم المناسبات وأَبرزها، وفيه من علم المناسبات لفتات بديعة، وفوائد نفيسة.

---

(7) الذهبي: **التفسير والمفسرون**. (1/ 210).

(8) المرجع السابق. (1/ 207).

(9)المعلمي: بحث حول تفسير الفخر الرازي. غير مطبوع. (ص: 5) بحسب ترقيم الشاملة.

(10) يُنظر السابق. (ص: 20).

(11) يرى الطاهر بن عاشور أن التفسير كله للفخر الرازي، إلا أن بعض أجزائه كانت مُسَوَّداتٍ وأمالي، أملاها على بعض تلامذته، فقام بعضهم بتبييض الجزء الناقص اعتمادًا على تلك المُسَوَّدات. ابن عاشور: **التفسير ورجاله**. (ص: 106).

(12) الذهبي: **التفسير والمفسرون**. (1/ 205).عباس: **التفسير والمفسرون**. (1/ 250).

(13) انظر مثلاً بيانه لكيفية ارتباط النظم في المواضع: (7/ 103). و(191/8). و(192/11). و(202/23).

(14) انظر مثلاً: (28/ 32). و (28/ 159). و (28/ 198).

2- يذكر تحت كل مجموعة من الآيات بضعة مسائل أو مباحث، وقد تربو أحيانًا على الثلاثين، فذكر مثلًا تحت آية الوضوء في سورة المائدة إحدى وأربعين مسألة[15]، وتتنوع هذه المسائل ما بين مباحث نحوية وصرفية وفقهية ووعظية وعقدية وعلوم كونية.

3- يحرص في تفسيره على الرد على أهل البدع والاعتقادات المنحرفة كالشيعة والمعتزلة وغيرهم[16].

4- يُفرد لآيات الأحكام مساحة واسعة من التفسير، فيذكر مذاهب الفقهاء ويناقش ويرد، ويُروج لمذهبه الشافعي[17].

وبالمجمل فإن تفسير الرازي تفسير عظيم النفع، جليل الفائدة، شَكَّل مرحلة تجديدية في التفسير، لها معالمها وبصماتها وأثرها الواضح على معظم التفاسير التي صُنفت بعده. يقول الدكتور فضل عباس: "ومن الإنصاف أن نسجل هنا، أن جامع البيان لابن جرير، وكشاف الزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، هي الأفلاك التي تدور حولها جميع كتب التفاسير في مرحلة التدوين"[18].

ثانياً: مفهوم المتشابه اللفظي

المتشابه في اللغة يعود للجذر (ش-ب-ه) وهو يعني تشابه شيئين أو أشياء، وتشاكلها في الصفة واللون، والمُشَبِّهَاتُ: المُشْكلات، واشْتَبَهَ الأمران، يعني أَشْكَلا[19]، وشِبْهُ الشيء وشبيهه يعني مثيله، وشَبَّه عليه الأمر، يعني خَلَّطه عليه حتى اشتبه بغيره، والشُبهة: الالتباس[20]. فكأن الأمرين لَمَّا كان بينهما تشابه في الشكل أو اللون أو الصفات، صار بينهما تداخل، وصار التمييز بينهما صعبًا، فاشتبه الأمر على الناظر وأشكل عليه،ونِسْبَة التشابه إلى اللفظ في قولهم (متشابه لفظي)، يعني أن ذلك الشَّبَه أو الإشكال والخلط وقع بين الألفاظ.

وأما في الاصطلاح، فإن العلماء يُصَنِّفُون آيات القرآن الكريم، من حيث ظهور معناها أو خفائه، إلى صنفين؛ الآيات المُحْكَمة، والآيات المتشابهة. قال الكفوي: "ما أُحْكِم: المراد به قطعًا، ولا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما اشتبه منه مراد المتكلم على السامع؛ لاحتماله وجوهًا مختلفة. وقيل: المُحْكَمُ ما

(15) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (11/ 297، 307).
(16) الذهبي: **التفسير والمفسرون**. (1/ 209).
(17) المرجع السابق. (1/ 210).
(18) عباس: **التفسير والمفسرون**. (1/ 252).
(19) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. (3/ 243).
(20) الجوهري: **الصحاح**. (6/ 2236). ابن سيده: **المحكم**. (4/ 193).

عُرِفَ المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور، ومن المتشابه: إيراد القصة الواحدة في سُوَرٍ شتى، وفواصل مختلفة، في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد"[21].

ويُلحظ في كلام الكفوي، أنه ذكر نوعين من التشابه: تشابه من حيث المعنى، وسبب اشتباهه يعود لخفاء المعنى أساسًا، كخفاء أمر الروح، وخفاء موعد الساعة، والثاني: تشابه من حيث اللفظ، وهو ما عَرَّفه بقوله: (ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سُوَرٍ شَتَّى، وفواصل مختلفة...) وسبب اشتباه هذا النوع ليس خفاء المعنى، بل قد يكون المعنى ظاهرًا جليًّا مُحْكَمًا، وإنما سبب اشتباهه أن الآية تكررت في غير موضع، بألفاظ متقاربة مع اختلاف يسير، فتخفى الحكمة من هذا التَّكرار، وتخفى الحكمة من اختيار هذا اللفظ لهذا الموضع، وموضوع هذه الدراسة هو هذا النوع من المتشابه اللفظي، لا المتشابه من حيث المعنى.

فالمتشابه اللفظي إذن: هو الجُمُل القرآنية التي تكررت، مع اختلاف يسير في التقديم والتأخير، أو الجمع والإفراد، أو الزيادة والحذف، أو إبدال كلمة بكلمة. وبعضهم يُسمي التشابه اللفظي تشاكلًا، كابن عقيلة، الذي عَدَّ المتشابه اللفظي نوعًا من أنواع علوم القرآن، لكن سماه (الآيات المتشاكلة)، ثم عَرَّفه فقال: "ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضًا، ويكون بزيادة ونقص يدركها أهل الفهم الثاقب"[22].

المبحث الأول

الأُسُسُ التي استند إليها الرازي في توجيه المتشابه اللفظي

المُطالِعُ لكُتب توجيه المتشابهات اللفظية، يرى أن هذا العلم يقوم على رُكْنين أساسيين: معرفة الفرق بين الألفاظ المتشابهة، وبيان مناسبة كل لفظ لسياقه، ومن هنا فإن هذا المبحث يسعى لاستنباط القواعد والأسس التي استند إليها الرازي، للتفريق بين الألفاظ المتشابهة، ولإظهار التباين بين السياقات المتشابهة.

وقد جرت العادة عند الكاتبين المعاصرين في بلاغة القرآن وفي المتشابهات اللفظية، أن يقسموا دراساتهم وفق نوع الاختلاف اللفظي، فيضعون بابًا للحذف والزيادة، وآخر للتقديم والتأخير، وثالثًا لتعاور الألفاظ، ورابعًا للتذكير والتأنيث...الخ)، إلا أن هذا التقسيم لا تظهر فيه منهجية توجيه الاختلافات؛ ولهذا ارْتَأَيْتُ أن أقسم هذا المبحث وفق مطالب تُظهر منهجية الرازي في التعامل مع تلك المتشابهات وتوجيهها.

---

(21) الكفوي: **الكليات**. (ص: 845).

(22) ابن عقيلة: **الزيادة والإحسان**. (6/ 336).

المطلب الأول: تحديدالفروق اللغوية بين الألفاظ والتراكيب

يحرص الإمام الرازي على تحليل التراكيب اللغوية؛ لبيان الفرق بينها في الآيات التي تتشابه بعض ألفاظها، ثم يعطف بعد ذلك إلى ملاحظة اختلاف السياق، ومن الأمثلة على ابتداء الرازي ببيان الفروق اللغوية قبل الانتقال للسياق:

1- في شأن التقديم والتأخير بين لفظي (اللعب) و(اللهو) في الآيتين: **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ}**[الأنعام: 32]، و:**{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ}**[العنكبوت: 64]، يتكئ صاحب التفسير على اختلاف سياق كُلٍّ من الآيتين، ولكنه قبل ذلك يُظهر الفرق اللغوي بين اللعب واللهو، فيذكر أن اللهو فيه انشغال كامل واستغراق بالشيء، بحيث يُنْسِيكَ غيره، ويشغلك بالكلية عن الآخرة، أما اللعب فهو انشغال بشيء على حساب شيء آخر، من غير نسيان للأول، ولا إعراض كامل عنه، وانشغال الناس بالدنيا تارة يكون لعبًا، بحيث ينشغل بها عن العبادة حينًا، وتارة يكون انشغالًا كُلِّيًّا بها يُنسي الآخرة.وبعد هذا التأصيل للفرق اللغوي، يربط كلًّا من اللفظين بسياقه، فيذكر أن آية العنكبوت سبقها الحديث عن الدنيا، فهي مظنة الانشغال الشديد بالدنيا لدرجة الإعراض عن الآخرة، فناسبها تقديم لفظ اللهو على اللعب، أما آية الأنعام، فقد سبقها الحديث عن أهوال القيامة وحسرتها، فيستحيل أن ينشغل الواحد بالدنيا وهو يرى أهوال الآخرة رأي العين، فناسبه أن يُقدم لفظ اللعب على اللهو[23].

2- تطرَّق في تفسيره للتشابه اللفظي بين قوله تعالى: **{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ}**[العنكبوت: 31] وقوله بعدها: **{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا}**[العنكبوت: 33]، بزيادة حرف (أنْ) في حق لوط υ دون إبراهيم υ، وهو يرى أن الحكمة من ذلك، الاتصال الزماني بين فِعْل المجيء وفعل الإخبار، فإضافة (أنْ) تدل على اتصال الفعلين أو قربهما زمانيًا، وبما أن الملائكة حين جاءت إبراهيم لم تعاجله بخبر إهلاك قوم لوط، وإنما استضافهم، ثم قدم لهم الطعام، ثم بَشَّرُوه بإسحاق، ثم بعد ذلك أخبروه بإهلاك قوم لوط، فلأجل هذا الفاصل الزمني حذف حرف (أن) من ذلك السياق، وأما في قصة لوط υ، فقد علم بإرادتهم إهلاك قومه فور مجيئهم، فلم يكن فاصل زمني بين مجيئهم وبين إخبارهم، أي أن حرف (إن) أفاد وقوع الفعل لحظة المجيء تمامًا[24].

ويمكن الاستشهاد لدقة الإجابة السابقة، بآيات أخرى من القرآن الكريم، جاء فيها لفظ (لما أن)، وهي كُلُّها تدل على وقوع الفعل بعد المجيء مباشرة، نحو قوله Y: **{فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ**

(23)الرازي: **مفاتيح الغيب**. (15/ 390).

(24)المرجع السابق. (25/ 52).

بَصِيرًا}[يوسف: 96]، فلا يُتصور أن يأتيَ البشير بهذه البشرى العظيمة ليعقوب υ، ثم لا يُلقي القميص على وجهه فور وصوله.

المطلب الثاني: مسالك الكشف عن أوجه اختلاف السياقات التي يرد فيها التشابه اللفظي عند الرازي

إذا كانت معرفة الفروق اللغوية لها مراجعها ومصادرها المعروفة؛ من كتب المعاجم اللغوية وكتب الفروق والنحو البلاغة، فإن معرفة وجه اختلاف سياق قرآني عن آخر، تعتمد على نظرة المُتدبر للقرآن الكريم وتأمله وتَفَحُّصِه، خاصة حين يكون السياقان وارِدَيْنِ في قصة واحدة أو مسألة واحدة، فعندها يكون وجه اختلاف كُلٍّ منهما عن الآخر دقيقًا.

وعند تتبع طريقة الرازي في توجيه المتشابهات اللفظية، يمكننا أن نستنبط ما يصلح لأن يكون مسالكَ، نَلِجُ من خلالها إلى سياقات الآيات المتشابهة، لنقف على وجه اختلاف كلٍّ منها عن الآخر رغم تشابهها في الظاهر، ومن تلك المسالك:

أولًا: ملاحظة اختلاف السياق من جهة اختلاف الزمن

مما يظهر في منهج الرازي، ملاحظته الترتيب الزمني للأحداث، بمعنى أن مَوْضِعًا من القرآن يصف المكان أو الشخص أو الحدث في زمان معين، والموضع الآخر يصف الشيء نفسه في زمان آخر، ثم يستنبط الرازي من ذلك سر الاختلاف بين المَوْضِعَيْن والسياقين المُشْتَبِهَيْنِ، ومن الأمثلة على ذلك:

1- ورد في شأن دعاء إبراهيم υ للبلد الحرام آيتان: في سورة البقرة: **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا}**[البقرة: 126]، وفي سورة إبراهيم: **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}**[إبراهيم: 35]، بزيادة (أل) التعريف لكلمة (بلد)، فيذكر الرازي أن دعاء سورة البقرة كان أولًا، حيث لم يكن في وادي مكة بلد ولا شيء، فسأل الله أن يجعل هذا الوادي المُقْفِرَ بلدًا، وأما دعاء سورة إبراهيم، فكان بعد زمن، وقد صار الوادي بلدًا يسكنه الناس، فدعا له مرة ثانية بالأمن[(25)].

أما مناسبة كل لفظ لسياقه، فلم يتطرق لها الرازي، ويُلاحظ أن سورة البقرة ذكرت قصة تجديد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لبناء الكعبة: **{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ}**[البقرة: 127]، وبما أن تجديد الكعبة كان قبل قدوم الناس وسكنهم، وقبل أن تصير مكة بلدًا يسكنه الناس، فناسب هذا أن يذكر لفظ (بلدًا) بالتنكير، الموحي بأن المكان لم يكن قد صار بلدًا بعدُ.

(25)المرجع السابق. (4/ 49).

2- جاء في سورة الإسراء: **{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}**[الإسراء: 22] ثم كررها بعد ست عشرة آية: **{وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}**[الإسراء: 39]، يذكر الرازي أن ما بين هاتين الآيتين، كله تكليفاتٌ وأوامرُ ونواهٍ، وأنها اسْتُهِلَّتْ بالنَّهْيِ عن الإشراك بالله، كما خُتِمَتْ بالنَّهْيِ مرة أخرى عن الإشراك، وهما متشابهتان، سوى أن الأولى خُتِمَتْ بذكر الذم والخذلان، والأخرى خُتمتْ بذكر الإلقاء في جهنم مع اللوم والدحور، وقد ناسب الأولى أن يأتي فيها الذم؛ لأن الذم يكون عند مقارفة الفعل القبيح للمرة الأولى، وناسب الأخرى أن يأتي فيها اللوم؛ لأن اللوم يكون عند تَكْرار الفعل القبيح، ثم إن الخذلان ناسب الآية الأولى؛ لأن الخذلان هو ترك الإعانة وتفويض الأمر لنفس المخذول، وهذا إنما يكون في الدنيا، فناسب الآية الأسبق، أما الدحر فهو الطرد، وهذا الطرد يتحقق في الآخرة، حين يُطرد من الرحمة إلى جهنم، وبما أن هذا الفعل متأخر زمانًا، ناسب أن يأتي في الآية المتأخرة، فجاء في الآية الأولى الأفعال التي تقع في زمن الدنيا، وهي الذم والخذلان، وجاء مع الآية الأخرى الأفعال التي ستقع في زمن الآخرة، وهي اللوم على تَكْرار القبائح، والدحر في جهنم[26].

ثانيًا: ملاحظة اختلاف السياق من جهة تركيزه على مرحلة معينة من مراحل حدوث الفعل

وهذه الناحية تختلف عن الترتيب الزمني للأحداث، فالكلام هنا عن فعلٍ واحدٍ يقع على مراحل عدة، بحيث يكون في مرحلته الأولى على صورة معينة، ثم يختلف الفعل في مرحلته الثانية وتختلف صورته، فيأتي أحد السياقات القرآنية ليُركز على صورة الفعل في مرحلته الأولى، فيما السياق الآخر يركز على الفعل ذاته، لكن في مرحلته الثانية. هذا ما يمكن استنتاجه من طريقة الرازي في توجيه بعض آيات المتشابه اللفظي، مثل:

1- عند بيانه الفرق بين (انفجرت) و(انبجست) في الآيتين: **{فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}**[البقرة: 60] و:**{أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}**[الأعراف: 160] ذكر الرازيُّ الفرقَ اللغوي بين الانفجار والانْبِجَاس؛فالانفجار خروج الماء بكثرة؛ لأن الانفجار هو الشق في أصل الشيء، والانبجاس خروج الماء قليلًا؛ لأن الانبجاس هو الشق الضيق. وبعد هذا التأصيل اللغوي، حمل الاختلاف بين الآيتين على أوجه، منها: أن الماء انبجس أولًا قليلًا، ثم فاض وكثر فانفجر، وهكذا هي عيون الماء، يظهر منها الماء قليلًا، ثم مع استمراره تتسع العين ويخرج الماء بكثرة[27].

فيُفهم من كلام الرازي أنَّ فِعْلَ خروج الماء تمَّ على مراحل، انبجاسٌ في المرحلة الأولى، ثم انفجارٌ في المرحلة الأخرى، فركزت سورة البقرة على صورة الفعل في مرحلة الانفجار، فيما ركزت سورة الأعراف على

(26)المرجع السابق. (20/ 344).

(27) المرجع السابق. (3/ 529).

صورة الفعل في مرحلة الانبجاس، وإجابة الرازي وجيهة مُقنعة، لكن ينقصها بيان علاقة لفظ الانفجار بسياق سورة البقرة، وعلاقة لفظ الانبجاس بسياق الأعراف، وهو ما أَوْضَحَهُ السيوطي، من أن طالب الاستسقاء في سورة الأعراف هم قوم موسى، فناسب أن تكون الإجابة بلفظ يدل على عطاء محدود (انبجست)، أما طالب الاستسقاء في سورة البقرة فهو موسىυ، فناسب أن تكون الإجابة بلفظ يدل على عطاء أكثر (فانفجرت)[28]. وكذلك فإن سياق قصة بني إسرائيل في البقرة، يقوم على تَعداد النعم، فناسبه الانفجار لما فيه من سَعة العطاء، أما سياقهافي الأعراف فيقوم على تقريعهم وذكر عقوباتهم، فناسبه اللفظ الذي فيه عطاء أقل[29].

2- عند توجيه الرازيالفرق بين قوله تعالى: **{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا}**[البقرة: 59] وقوله Y: **{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا}**[الأعراف: 162] ففي سورة البقرة ذكر الإنزال، في حين ذكر الإرسال في الأعراف، قال الرازي: "لأن الإنزال لا يُشعِر بالكثرة، والإرسال يُشْعِرُ بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل، ثم جعله كثيرًا"[30].

ونلاحظ أن الرازي بَيَّنَ أولًا الفرق اللغوي بين الإرسال والإنزال من حيث الكثرة، وهما في الحاصل فعلٌ واحد، بدأ في مرحلته الأولى بإنزال قليل نسبيًا، فلما صار كثيرًا شديدًا تحول إلى إرسال، فركزت آية سورة البقرة على الفعل في مرحلته الأولى وهو الإنزال، فيما سورة الأعراف ذكرت الثانية وهي الإرسال، ولا شك أن سياق الأعراف يناسبه ذكر اللفظ الذي يوحي بشدة العذاب؛ لما سبق ذكره في المثال السابق، من قيام سياقها على ذكر العقوبات والتقريع.

ثالثًا: ملاحظة اختلاف الموصوف

يأتي اختلاف السياق أحيانًا، من اختلاف الموصوف في كُلٍّ منهما، فتأتي آية في وصف شيء، وتأتي الآية الأخرى بألفاظ مشاكلة مع اختلاف يسير؛ لأن الموصوف فيها غير الموصوف في الأولى، فتأتي اختلافات في اللفظ أو التركيب لمراعاة اختلاف الموصوف، وهذا ما يمكن استنتاجه من توجيه الرازي للاختلافات في الآيات الآتية:

1- وردت في سورة الحج آيتان مُشْتَبِهَتَان: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}**[الحج: 3] و: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ**

(28) السيوطي: **معترك الأقران**. (3/ 8).

(29) السامرائي: **التعبير القرآني**. (ص: 312،311).

(30) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (15/ 390).

سَبِيلِ اللَّهِ}[الحج: 8، 9]، نقل الإمام الرازي ثلاثة آراء لتوجيه هذا المشتبه اللفظي، رجح أولها، وهو أن الآية الأولى تتحدث عن الأَتْبَاع وهم المُقلِّدون لسادتهم، والثانية عن المتبوعين وهم السادة الكُبَرَاء، وعلل ذلك بأن الآية الثانية جاء فيها: (يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وأن هذا لا يُقال في المُقلدين، وإنما يُقال فيمن يُخاصم بناء على شُبهة[31].

والتوجيه الذي اختاره الرازي هنا معقول، إلا أن استدلاله عليه مَدْخُول؛ لأن المجادلة في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ،يمكن تصورها من مُقلد يُكرر ما يسمعه من سادته. وأحسنُ من استدلال الرازي السابق، استدلالُ فضل عباس، وهو أن الآية الأولى جاء فيها: (ويتبع كل شيطان مريد)، وأن لفظ (يتبع) يؤكد أنهم مُقَلِّدُون، في حين جاء بعد الآية الأخرى: (ثاني عطفه ليُضل عن سبيل الله) وهذا يُناسب السادة الكبراء الزعماء، فهم يثنون أعطافهم كِبْرًا وغرورًا[32]، ثم هم يُضلون غيرهم، وهذا ديدن المتبوعين المفتونين الفاتنين، ولذا قال في وصفهم: (ليُضل عن سبيل الله).

والحاصل أن ما أعان على كشف اختلاف السياقين، مُلاحظةُ اختلاف الموصوف في كُلٍّ منهما.

2- جاء في قصة نوح: **{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ}**[الأعراف: 60] وفي قصة هود:**{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ}**[الأعراف: 66]فزاد كلمة (الذين كفروا) في قصة هود، وحذفها من قصة نوح، عليهما السلام.

يرى الرازي أن الملأ من قوم نوح كانوا جميعهم كافرين، فجاء اتهام نوح بالضلال على لسانهم جميعًا، أما في قوم هود، فلم يكن الملأ كلهم كافرين، فَخَصَّصَتْ الآية اتهامه على لسان الكافرين من القوم، وأَيَّدَ الرازي قوله هذا، بما يُروى من إيمان مرثد بن سعد، من أشراف قوم هود[33]، فالآيتان كلتاهما تتحدثان عن الملأ، إلا أن الأولى تتحدث عن ملأ كلهم كافرين، والأخرى تتحدث عن ملأ فيهم الكافر وفيهم المؤمن، فلما اختلف الموصوف، اختلفت الألفاظ بما يناسبه.

وبغض النظر عن صحة رواية إسلام مرثد بن سعد، إلا أن التركيب اللغوي للجملتين يحتمل ما قاله الرازي، ثم إن القرآن الكريم، ذكر مقالة قوم نوح له: **{وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا}**[الأعراف:27]، فهذا يؤكد أن المؤمنين من قوم نوح كانوا كلهم من المستضعفين، وليس فيهم من الأشراف أو الملأ أحد.

---

(31)المرجع السابق. (23/ 206).

(32)عباس: **التفسير والمفسرون**. (1/ 379).

(33) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (14/ 300). والرواية أخرجها الطبري في تفسيره. (12/ 508).

رابعًا: ملاحظة اختلاف السياق من جهة اختلاف الصفة التي يركز عليها السياق

وهذا يختلف عما في النقطة السابقة، فالحديث هنا ليس عن موصوفَيْن اثنين، بل هو موصوف واحد، له عدة صفات، فتأتي آية لتركز على واحدة من صفاته، فيما الآية الأخرى تركز على وصفٍ آخر، وهذا ما يمكن أخذه من طريقة الرازي في توجيه بعض المتشابهات اللفظية، منها:

1- في بيان الفرق بين قوله تعالى: **{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}**[البقرة: 59] و:**{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}**[الأعراف: 162] فقال في سورة البقرة: (بما كانوا يفسقون) وقال في الأعراف: (بما كانوا يظلمون)، وقد أجاب الرازي على هذا بأن القوم كانوا موصوفين بالوَصْفَين كلاهما؛ الظلم والفسق، فهم ظالمون لأنهم ظلموا أنفسهم، وهم فاسقون لأنهم خرجوا عن طاعة الله[34]، فالموصوف هنا واحد، وهم بنو إسرائيل، إلا أنهم تعددت أوصافهم، فوصفهم في موضع بالفسق، وفي آخر بالظلم.

2- تَعددتْ أوصاف حية موسى υ، فقد وُصفِتْ مرة بأنها: أفعى، ومرة: ثعبان، وثالثة: كأنها جانّ، وقد ذكر الرازي في ذلك عدة إجابات، منها: "أنها كانت في شخص الثعبان، وسرعة حركة الجانِّ، والدليل عليه قوله تعالى: **{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ}**[النمل: 10]"[35]، فهذه الحية لها عدة أوصاف، ذكر في موضع وصف الضخامة -ثعبان-، وفي آخر وصف السرعة -جانّ-.

خامسًا: ملاحظةتقديم الأهم في السياق

وهذا يكون في بيان اختلافات التقديم والتأخير في الآيات المتشابهة، إذمِنَ المعلوم أن مِنْ أهم أغراض التقديم والتأخير في البلاغة، بيانُ أهمية المُقَدَّم ومنزلته. قال السُّهَيْلي: "ما تقدم من الكلام، فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال"[36]، وإدراك هذه القاعدة له دور مُهِمٌّ في توجيه اختلافات المتشابه اللفظي. ويُستنتج من بعض الأمثلة عند الرازي، أنه كان يستخدم قاعدة التقديم والتأخير في توجيه المتشابه اللفظي، من ذلك:

---

(34) المرجع السابق. (15/ 390).

(35) المرجع السابق. (22/ 27).

(36) السهيلي: **نتائج الفكر**. (ص: 209).

1- جاء ذكر النفس مُقَدَّمًا على المال في قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}**[التوبة: 111]، في حين تقدم المال على النفس في معظم الآيات التي تتحدث عن الجهاد، نحو: **{جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}**[التوبة: 88] وغيرها كثير، وقد وجَّه الرازي ذلك فقال: "وجوابه: أن النفس أشرف من المال، فالمُشتري قَدَّمَ ذِكْرَ النفس؛ تنبيهًا على أن الرغبة فيها أشد، والبائع أَخَّرَ ذِكْرَها؛ تنبيهًا على أن المضايقة فيها أشد، فلا يرضى ببذلها إلا في آخر المراتب"[37]، أي أنه لما كان السياق سياق بيعة مع الله، وطلب من الله، قدم الأشرف وهو النفس، أما في سائر المواضع فهو سياق بذل، وتقديم من العباد، ولا شك أن بذل المال -عند أغلب الناس- أسهل من بذل الروح.

2- قَدَّمَ النصُّ القرآني ذكر الأرض على السماء في: **{وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}**[يونس: 61] والعكس في: **{لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}**[سبأ: 3]، وقد نَوَّه الرازي إلى أن النص راعى تقديم الأهم، فلما كان سياق الآية في سورة يونس قد سبقه حديث عن أهل الأرض وأحوالهم، قَدَّم الأرض، أما سياق الآية في سبأ فلم يسبقه ذِكْرٌ لأحوال أهل الأرض. قال الرازي: "حق السماء أن تقدم على الأرض، إلا إنه تعالى لَمَّا ذكر في هذه الآية شهادته على أحوال أهل الأرض وأعمالهم، ثم وصل بذلك قوله لا يعزب عنه، ناسب أن تُقَدَّم الأرض على السماء في هذا الموضع"[38].

المطلب الثالث: الإفادة من أقوال العلماء السابقين مع مناقشتها

لا شك أن عالمًا موسوعيًا مُتَبَحِّرًا كالرازي، لم تكن لتفوته أقوال العلماء الذين سبقوه، فنجده يعرض لآراء العلماء في توجيه المتشابه اللفظي، إلا أن الغالب عند الرازي أنه مستقلٌّبرأيه في توجيه تلك المتشابهات،وما يعنينا في هذا المطلب، أنه يعرض أحيانًا أقوال السابقين، وهو في الغالب لا يكتفي بمجرد سرد أقوالهم، بل يناقش وينقد ويرجح ويضيف، فمن ذلك:

1- جاء فيتفسير الرازي بيان الفرق بين قوله تعالى: **{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}**[البقرة: 112] و: **{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}**[لقمان: 22] فقال صاحب التفسير: "قال هاهنا: (ومن يسلم وجهه إلى الله)، وقال في سورة البقرة: (بلى من أسلم وجهه لله)، فعدى هاهنا بـ (إلى) وهناك باللام، قال الزمخشري: معنى قوله: أسلم لله، أي جعل نفسه لله سالمًا، أي خالصًا. ومعنى قوله: يسلم وجهه إلى الله، يسلم نفسه إلى الله كما يسلم واحد متاعا إلى غيره[39]. ولم يزد على هذا، ويمكن أن يُزاد عليه ويقال:(من أسلم لله) أعلى

(37) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (11/ 193).

(38) المرجع السابق. (17/ 274).

(39) الزمخشري: **الكشاف**. (3/ 499).

درجة ممن (يسلم إلى الله)؛ لأن (إلى) للغاية، واللام للاختصاص. يقول القائل: أسلمت وجهي إليك، أي توجهت نحوك، وينبئ هذا عن عدم الوصول؛ لأن التوجه إلى الشيء قبل الوصول، وقوله: (أسلمت وجهي لك) يفيد الاختصاص، ولا ينبئ عن الغاية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول"[40]. فيُلاحظ هنا أنه ذكر قول الزمخشري، فأفاد منه وبنى عليه، ثم أضاف عليه بما يزيد الأمر وضوحًا وجلاء، ولم يكتفِ بهذا، بل نجده يزيد أمرًا آخر، وهو مناسبة كل من التعبيرين لسياقه في سورته، فسياق سورة البقرة يتحدث عن زعم اليهود والنصارى أن الجنة لهم وحدهم، فجاء التعبير (أسلم وجهه لله) الدالُّ على الإخلاص التام، ليُرَدَّ عليهم دعواهم، كأنه يقول لهم: إن الجنة مختصة لمن اختص وجهه لله، وأخلص له بكليته، أما سورة لقمان فلم يرد فيها مثل هذا الزعم، فجاء التعبير (أسلم وجهه إلى الله)[41].

2- وعند بيانه الفرق بين: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}**[الحج: 3] و: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}**[الحج: 8]، نقل الرازي ثلاثة أقوال فيها، أولها عن أبي مسلم، والثاني والثالث آثار منقولة عن ابن عباس وغيره، ثم رجح الأول، مستندًا إلى تتمة الآيات[42]، وقد سبق بيان ترجيحه عند الحديث عن المسلك الثالث من مسالك الكشف عن وجه اختلاف السياقات المتشابهة.

المطلب الرابع: الاستشهاد لصحة التوجيه بمواضع أخرى من القرآن

يعمد صاحب التفسير أحيانًا بعد توجيهه للمتشابه، إلى تأييد وجهة نظره، بآيات من القرآن، تؤكد صحة ما ذهب إليه، فمثلًا:

1- في قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}**[الفتح: 4]و: **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}**[الفتح: 7] تحدث عن سر تكرار الآية مع المغايرة في الأسماء الحسنى في ختام كل منهما، فذكر أن لله تعالى جنود رحمة وجنود عذاب، أو أن إنزال جندِه، تارة يكون للرحمة، وتارة يكون للعذاب، فلمَّا تحدثتْ الآية الأولى عن إنزال الجنود على المؤمنين، وما في إنزالهم من السكينة والطمأنينة، ختمها فقال: (وكان الله عليمًا حكيمًا)، ثم بعد ذلك تحدث عن عذاب المشركين والمنافقين: **{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ... وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}**[الفتح: 4 – 7] فختمه

(40) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (25/ 125).

(41) المرجع السابق. (25/ 125).

(42) المرجع السابق. (23/ 206).

باسم العزيز؛ ليناسب العذاب، ثم استشهد صاحب التفسير على صحة ما ذهب إليه، من مناسبة اسم الله العزيز لمواضع العذاب، بآيات من القرآن، كقوله تعالى:**{أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ}**[الزمر: 37][43].

2- عند توجيهه للحكمة من حذف الواو عند ذكر سَوق أهل النار إليها، وإضافتها عند ذكر سَوق أهل الجنة للجنة، ذكر أن أبواب النار لا تُفْتَحُ إلا عند دخول أهلها فيها، أما أبواب الجنة، فهي مفتوحة قبل وصولهم، ثم استشهد على أن أبوابها مفتوحة أصلًا، بقوله تعالى:**{جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}**[ص: 50][44].

المبحث الثاني

نقد منهج الرازي في توجيهه المتشابهات اللفظية

المطلب الأول:اقتصاره في كثير من الأحيان على بيان الفرق بين اللفظين دون بيان مناسبة السياق

لعل هذا أبرز ما يُؤخذ على منهج الرازي في توجيه المتشابه اللفظي، فتجده في مواضع عدة، يُبَيِّنُ لك الفرق بين اللفظين على أَتَمِّ ما يكون البيان وأحسنِه، ولكنه لا يتطرق لسبب اختصاص كلِّ سياق بهذا اللفظ دون غيره، ولا مناسبة كل منهما لموضعه، رغم ما عُرف عن الرازي رحمه الله من براعة وإبداع في علم المناسبات، ورغم أنه في مواضع أخرى كثيرة، كان يتناول مناسبة كل لفظ لسياقه.

واقتصاره على ذكر الفرق مع إغفال مناسبته للسياق، لا يُقدم لنا في باب البلاغة القرآنية شيئًا كثيرًا؛ لأنه يُفَوِّت على القارئ إدراك سر براعة النظم القرآني، وروعة إعجازه.ومن أمثلة:

1- تحدث الرازي عن الفرق بين قوله الله تعالى في حق بني إسرائيل: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**[البقرة: 61] و: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}**[آل عمران: 112] فقال إن إضافة (أل) التعريف لكلمة الحق في سورة البقرة، تدل على حق معلوم مخصوص، وهو الحق الشرعي الوارد في قوله ρ: "لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ..."[45]، أما كلمة (حق) من غير (أل) تعريف، فهي نكرة تدل على العموم، أي أنهم قتلوهم بغير حق مشروع، ولا بحق غير مشروع[46].

---

(43)المرجع السابق. (28/ 71).

(44) المرجع السابق. (27/ 480).

(45) البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الديات. باب قوله تعالى {أن النفس بالنفس}. (9/ 5/ رقم: 6878).

(46) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (3/ 535).

أما الدكتور فاضل السامرائي،فقد ذكر ما قاله الرازي، ثمزاد وبَيَّن ارتباط كل لفظ بسياقه، حيث إن سياق سورة البقرة جاء في التعقيب على قصة بني إسرائيل مع موسى υ: **{اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**[البقرة: 61]، ولذا جاء قوله: (ويقتلون النبيين بغير الحق) تعليلًا مخصوصًا بهؤلاء القوم المخصوصين، ولذا جاء التعبير (بغير الحق) ليكون مخصوصًا بنوع معين من القتل، أما سياق الآية في آل عمران، فجاءت كقاعدة عامة، تشمل القوم من بني إسرائيل وغيرهم: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}**[آل عمران: 21، 22] فلما كان التعبير في هذه القاعدة يشمل اعتداءات بني إسرائيل وغيرهم، ناسبها أن يكون التعبير فيها عامًا، فجاء بصيغة النكرة الدالة على العموم(47).

2- عند توجيهه الفرق بين (خطاياكم) و(خطيئاتكم) في الآيتين: **{وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}**[البقرة: 58] و:**{وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}**[الأعراف: 161]اكتفى الرازي بأن قال: "إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع"(48)، وهو بهذا يشير إلى أن لفظ (خطاياكم) يدل على كثرة الخطايا، أما (خطيئاتكم) فهو جمع قلة، إلا أنه لم يوجه مناسبة كل منهما لسياقها.

ويمكن إدراك سر مناسبة كل من اللفظين السابقين لسياقه، من ملاحظة أن ذنوب بني إسرائيل المذكورة في سورة البقرة، أكثر بأضعاف من ذنوبهم في سورة الأعراف، فالسورتان كلتاهما ذكرتا اتخاذهم العجل، وطلبهم رؤية الله جهرة، وقولهم حنطة بدل حطة، واعتداءهم في السبت، ونقض العهد مع الله، مع تفصيل لها في الأعراف، واختصار في البقرة، لكن ذُكر في سورة البقرة زيادة على ما سبق: لَبْسُهُم الحق بالباطل، وتحريف كلام الله، وشرائه بثمن قليل، واتباعهم السحر، وقسوة قلوبهم، وقولهم لن تمسنا النار، وأن الجنة خالصة لهم، وتشددهم في ذبح البقرة، وسفكهم دماء بعضهم، وقتلهم الأنبياء، وعداوتهم لجبريل، وكفرهم بمحمد ρ، ودسهم وكيدهم لصد الناس عن الإسلام، وغير ذلك، وهذه الكثرة في سورة البقرة، تجعل جمع الكثرة أنسب، أي أن السورة التي جاء في تعداد أقل للذنوب والجرائم، جاء فيها لفظ جمع القلة (خطيئاتهم)، والسورة التي جاء في تعداد أكثر للذنوب والجرائم، جاء فيها لفظ جمع الكثرة (خطاياهم).

المطلب الثاني: نفيه وجود فرق بين بعض المشتبهات اللفظية

---

(47)السامرائي: (ويقتلون النبيين بغير الحق). على اليوتيوب:https://www.youtube.com/watch?v=2LJpDjrp5z4.

(48) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (15/ 390).

يذكر الرازي أحيانًا بعض المتشابهات اللفظية، ثم ينفي وجود فرق بينها، ومع أن هذا لم يكن الغالب في منهجه، إلا أنه ذكره غير مرة، فمثلًا:

1- ذكر اختلاف التقديم والتأخير بين لفظي (القرآن) و(الكتاب) في سورتي النمل والحِجر: **{تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}**[النمل: 1] و: **{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ}**[الحجر: 1] ثم قال الرازي: "فإن قلتَ: ما الفرق...؟ قلتُ: لا فرق؛ لأن واو العطف لا تقتضي الترتيب"[(49)].

2- وعند تفسيره الآيات من سورة (المؤمنون): **{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}**[المؤمنون: 84 - 86] حيث يُلاحظ هنا أنه قال مع الأرض: (لمن الأرض) ومع السموات: (من رب)، وهنا يقول الرازي: "لا فرق في المعنى؛ لأن قولك من ربه، ولمن هو؟ في معنى واحد"[(50)]، واكتفى بهذا.

ونفي الفرق بين تلك المتشابهات مُنتقدٌ لسببين:

الأول: أنه كان يُنوه عند عجزه عن إدراك السر في بعض المتشابه اللفظي، إلى وجود حكمة، وإن خفيت على الناس، ثم يفوض علمها إلى الله، فمثلًا: ذكر سؤالًا عن الفرق بين تقديم النصارى على الصابئين في: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ}**[البقرة: 62]، والعكس في: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى}**[الحج: 17]، ثم قال: "والجواب: لَمَّا كان المُتكلم أحكمَ الحاكمين، فلا بد لهذه التغييرات من حكم وفوائد، فإن أدركنا تلك الحكم فقد فزنا بالكمال، وإن عجزنا أَحَلْنَا القصور على عقولنا، لا على كلام الحكيم، والله أعلم"[(51)]، فهو في هذا الموضع لم يذكر إجابة، ولم ينف الفرق، وفوض العلم إلى الله، فليته أثبت الفرق وفوض علمه إلى الله في سائر المواضع التي نفى عنها الفرق.

الثاني: لأنه كان من عادته، أن ينقل قول من يقول بنفي الفرق بين بعض الآيات، ثم يُظهر الفرق ويُفصح عن خطأ ذلك الزعم، والأمثلة على هذا في تفسيره كثيرة[(52)]، فكان الأليق به أن لا يقع فيما انتقده على غيره، أو أن يفوض علمها إلى الله، لا أن يقول: لا فرق بينهما.

---

(49)المرجع السابق. (24/ 540).

(50)المرجع السابق. (23/ 290).

(51) المرجع السابق. (3/ 537).

(52) من أمثلة ذلك قول الرازي: "واعلم أن من الناس من قال: إنه لا فرق بين قوله (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) وبين قوله (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله)... أما المحققون فقالوا: المغايرة حاصلة..." (8/ 268).

بَيْدَ أنه ينبغي التنويه، إلى أن الرازي قد كتب تفسيره في مراحل متقطعة، وأماكن مختلفة، ولم يكتب تفسير السور بحسب تتابع ترتيبها في المصحف، هذا بحسب ما يظهر من التواريخ المكتوبة في ختام تفسير بعض السور، ويبدو أنه كان يكتب مسودات وأمالي، ثم يُبيضها[53].ولعل هذا التفاوت في زمن التأليف ومراحله وتبييضه، كان له أثر في قوة بعض توجيهاته وقصور الأخرى، أو أنه كان يمليها، ثم عند التبييض يضيف لفتات وإشارات مما يفتح الله به عليه، فما أشرف على تبييضه نَقَّحَه، وما لم يُشرف على تبييضه ظل على ما هو عليه.

المطلب الثالث: عدم إفادته من السياق الكلي للسورة في توجيه المتشابه إلا نادرًا

عند النظر لتوجيه آيات التشابه اللفظي، قد لا يسعف النظر في سياق كلٍّ من الآيتين لإدراك سر الاختلاف، وعندها لا بد من توسيع النظر إلى سياق المقطع الذي وردت فيه الآية، أو توسيعه إلى سياق السورة بأكملها، مع النظر في مقصدها وميزاتها، وسمات البناء التعبيري فيها.

ولم أجد في تفسير الرازي، استخدامًا لهذا المسلك في توجيه المتشابه، إلا في موضع واحد فريد، عند توجيه الفرق بين: **{وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}**[العنكبوت] وقوله: **{وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}**[الذاريات: 37] وهما في قصة قوم لوط υ، حيث عرض صاحب التفسير تساؤلًا عن الفرق بين (تركنا منها) و(تركنا فيها)، ثم أجابأن (تركنا منها) تدل على أن آية العذاب في سورة العنكبوت أظهر منها في سورة الذاريات؛ لأن حرف (من) في قوله: (تركنا منها) يدل على التبعيض، فكأن تلك الآية جزء من القرية لا ينفك عنها، ثم إنه وصفها بأنها بَيِّنَة ظاهرة، وأنها لقوم يعقلون، وهم أكثر من الذين يخافون العذاب الأليم، وهذه الأوصاف غير مذكورة في آية الذاريات، فثبت أن آية العذاب في العنكبوت أظهر مما هي في الذاريات، ثم بَيَّن أن سياق سورة العنكبوت يقصد إلى التخويف، أما سياق الذاريات فيقصد إلى تسلية النبي ρ،[54]. وقد كان ذكر في غير موضع من سورة الذاريات أنها تقصد إلى تسلية النبي، مما يؤكد أنه يتحدث هنا عن السياق الكلي للسورة، وليس عن سياق الآية فقط[55].

وقد كان بإمكان الرازي أن ينتفع من النظر في السياق الكلي ليوجه التشابه اللفظي في كثير من المواضع التي تركها بلا توجيه، أو اكتفى عندها بتوجيه غير مكتمل، كما رأينا في توجيه الفرق بين (خطاياكم) و(خطيئاتكم)، والفرق بين (أنزلنا) و(أرسلنا)، وبين (وُعدنا نحن وآباؤنا هذا) و(وعدنا هذا نحن وآباؤنا)، وقد

---

(53)الواحدي: **منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب**. (33،36).

(54) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (28/ 181).

(55) انظر تفسيره الآية 24 والآية 37 والآية 41.

سبق شرح هذه الأمثلة في ثنايا هذه الدراسة، وهي كلها أمثلة لم تظهر مناسبة اختلاف ألفاظها، إلا بعد ملاحظة السياق الكلي للمقطع أو السورة.

المطلب الرابع: قصور بعض الإجابات أو تَكَلُّفُها

لعله من نافلة القولِالتذكيرُ بأن وجود بعض الإجابات الضعيفة، في مصنف كبير، يحوي آلافًا من الفوائد، لا يُنقص من قدر المُصنَّف ولا المُصنِّف، ولكن طبيعة البحث العلمي تُحتم على الباحث أن يذكر رأيه فيما يظنه خطئًا بالدليل والبرهان.

ومن الإجابات التي ذكرها الرازي لتوجيه التشابه اللفظي، وأحسب أن فيها تكلفًا أو قصورًا:

1- في الفرق بين قوله تعالى عن الطير: **{مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ}**[النحل: 79]و: **{مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ}**[الملك: 19]حيث قال في النحل: (الله) وفي الملك: (الرحمن)،قال الرازي: "ذكر في النحل أن الطير مسخرات في جو السماء، فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية، وذكر هاهنا أنها صافات وقابضات، فكان إلهامها إلى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن"(56).

ويمكن الاعتراض على جوابه هذا من عدة نواحٍ:

الأولى: أن تسخير الطير في جو السماء أليق بالربوبية منه بالألوهية، فالألوهية تنصرف لاستحقاق العبادة، والربوبية هي التي تنصرف للإنعام والتدبير.

والثانية: ما وجه تخصيص التسخير بالألوهية، وتخصيص إلهام القبض والبسط بالرحمة والمنفعة، فكلا الأمرين يجوز نقله للآخر، فيجوز أن نقول إن التسخير منفعة ورحمة، وأن القبض والبسط محض الإلهية.

والثالثة: من حيث السياق، لا وجه لتخصيص موضع سورة الملك بالرحمة والمنفعة دون سورة النحل، خاصة وأن سورة النحل هي سورة النعم، بل فيها من ذكر النعم ورحمات الله للإنسان أكثر مما في سورة الملك.

2- في إجابته عن الاختلاف بين: **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}**[البقرة: 23] و: **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}** [يونس: 38] ذكر الرازي أن سورة البقرة جاء فيها الحرف (من) ولم يجئْ في يونس؛ وذلك لأن المقصود في البقرة أن يأتوا بسورة من عند رجل أُمِّيٍّ مثل محمد ρ في أُمِّيَّتِهِ، وعدم تتلمذه على أَحَد، وعدم مطالعته الكتب والعلوم، فالإعجاز هنا يظهر من حيث مجيء مثل هذه السورة من عند رجل أُمِّيٍّ، أما إعجاز السورة بذاتها فيظهر

(56) الرازي: **مفاتيح الغيب**. (30/ 593).

من آية: **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}**[57]. أما عند تفسيره آية:**{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}** في سورة البقرة، فقد ذكر أن الضمير في (مثله)، يحتمل أن يرجع إلى السور المُنزلة، فيكون المعنى بسورة مثل سور القرآن في إعجازها، ويحتمل أن يرجع الضمير إلى العبد، أي بسورة من عند شخص مثل محمد ρ في أميته، إلا أنه رجح الاحتمال الأول[58].وهذا يعني أن الرازي وَجَّه الاختلاف بين الآيتين بوجه مرجوحٌ في التفسير، ويُقِرُّبأنه مرجوح، بل ويستدل هو بنفسه على ترجيح غيره، ومثل هذا التوجيه القائم على وجه مرجوح، لا شك أن توجيه مرجوح، أو مُتَكَلَّف.

ويرى السامرائي أن الإتيان بمثل الشيء، يعني أن ذلك الشيء لا يوجد له مثيل، والمطلوب إبداع أو إحداث شيء مثله، أما الإتيان بشيء من مثله، فهذا يعني أنني لا أُلزمك باستحداث مثله، بل أُوسع عليك، فبإمكانك أن تستحدث، أو تأتي بمثال مما استحدثه غيرك[59]. وهذا التفريق يتناسب مع التدرج في التحدي، فتحداهم أولا أن يأتوا بمثل القرآن، ثم بعشر سور، ثم بسورة يستحدثوها هم، ثم أن يأتوا بسورة ولو كانت مما ابتدعه غيرهم من البشر.

ومما تنبغي الإشارة إليه في آخر هذا المبحث، أن المتشابهات اللفظية التي لم يتطرق الرازي لتوجيهها أكثر من التي وَجَّهَهَا، وهذا ليس بمستغرب ولا مستنكر؛ لأن المتشابهات اللفظية كثيرة جدًا، وبحسب المفسر أن يشير لبعضها أو أَهَمّهَا، أما تغطيتها كلها، فيحتاج لمصنفات خاصة بهذا الفن، كمصنف الخطيب الإسكافي الذي كتب فيها ما يزيد على الألف من الصفحات في توجيه المتشابه اللفظي، سمَّاه (درة التأويل وغرة التنزيل)، وابن الزبير في مصنف (ملاك التأويل، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل) والذي جعله في مجلدين كبيرين، وغيرها.

خاتمة

بعد استقراء توجيهات الرازي للمتشابهات اللفظية، وبعد دراستها بالتحليل والنقد، تم التوصل إلى النتائج الآتية:

1. كان للإمام الرازي اهتمام بعلم المتشابهات اللفظية، وله فيه أثر واضح، انتفع به من بعده.
2. استندَ الرازي في منهجه لتوجيه المتشابه اللفظي، إلى الرُكنين الأساسيين لهذا العلم، وهما:بيان الفروق بين الألفاظ، وبيان تناسب كل لفظ مع سياقه.

---

(57)المرجع السابق. (17/ 254).

(58) المرجع السابق. (2/ 349).

(59) السامرائي: **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**. (ص:9).

3. يُستنتج من توجيهات الرازي للمتشابه، مجموعة من المسالك التي تُعين على معرفة وجه اختلاف السياقات التي يرد فيها التشابه اللفظي؛ كملاحظة اختلاف الزمن، واختلاف الموصوف، وتعدد الأوصاف للشيء الواحد، والعنصر الأهم في السياق، وملاحظة البسط والاختصار.
4. أفاد الرازي في توجيه المتشابه اللفظي، من علم النحو والفروق البلاغية المترتبة عليه، وتسخيرها لخدمة السياق، كما أفاد من آراء السابقين، وأعمل رأيه في أقوالهم اختيارًا ونقدًا وترجيحًا، وكان أحيانًا يؤكد صحة توجيهاته بنصوص من القرآن.
5. مما يؤخذ على منهج الرازي في توجيهه للمتشابهات اللفظية، اقتصاره في كثير من الأحيان على بيان الفرق بين الألفاظ، دون بيان مناسبة كل منها للسياق، وكذلك نفيه –أحيانًا– وجودَ أي فرق بين بعض المتشابهات اللفظية، وعدم توظيفه للسياق الكلي للسورة إلا نادرًا، وتَكَلُّفُ بعد توجيهاته، أو ابتعادها عن الصواب.

التوصيات:

1. أوصي طلبة العلم الشرعي، بالاتجاه للكتابة في مناهج المفسرين في توجيه المتشابه اللفظي، خاصة من كان لهم اهتمام في هذا الفن، كالآلوسي وابن عاشور.
2. أوصي طلبة العلم الشرعي، بالاتجاه للكتابة في قواعد علم توجيه المتشابه اللفظي، وضوابطه.

المصادر والمراجع

1. البخاري،محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ): **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير الناصر. دار طوق النجاة. (ط1) 1422هـ.
2. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عطار. دار العلم للملايين– بيروت. (ط4) 1407هـ.
3. ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي (ت: 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر– بيروت. (ط1) 1971م.
4. الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ): **تاريخ الإسلام**. تحقيق: بشار معروف. دار الغرب الإسلامي. (ط1) 2003م.
5. ==========: **سير أعلام النبلاء**.تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. (ط3) 1405هـ.
6. الذهبي، محمد حسين (ت: 1398هـ): **التفسير والمفسرون**. مكتبة وهبة– القاهرة. (1/ 210).

7. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): **مفاتيح الغيب**. دار إحياء التراث العربي- بيروت. (ط3) 1420هـ.
8. الزركلي، خير الدين محمود الدمشقي (ت: 1396هـ): **الأعلام**. دار العلم للملايين. (ط15) 2002م.
9. السامرائي، فاضل صالح: **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**. مكتبة الصحابة- الشارقة. (ط1) 1429هـ.
10. ==========: **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**. العاتك لصناعة الكتاب- القاهرة. (ط2) 1427هـ.
11. ==========: **التعبير القرآني**. دار عمار- الأردن. (ط4) 1427هـ.
12. السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: 771هـ): **طبقات الشافعية الكبرى**. تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. دار هجر. (ط2) 1413هـ.
13. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ): **نتائج الفكر في النحو**. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط1) 1412هـ.
14. ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ): **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط1) 1421هـ.
15. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): **طبقات المفسرين**. تحقيق: علي عمر. مكتبة وهبة- القاهرة. (ط1) 1396م.
16. ==========: **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. دار الكتب العلمية- بيروت. (ط1) 1408هـ.
17. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ): **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث- بيروت. 1420هـ.
18. ابن عاشور، محمد الفاضل: **التفسير ورجاله**. مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر. (ط2) 1417هـ.
19. عباس، فضل حسن (ت: 1432هـ): **التفسير والمفسرون أساسياته واتجهاته**. دار النفائس- الأردن. (ط1) 1437هـ.
20. ابن العزي، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت: 1167هـ): **ديوان الإسلام**. تحقيق: سيد كسروي. دار الكتب العلمية- يروت. (ط1) 1411 هـ.
21. ابن عقيلة، محمد بن أحمد بن سعيد المكيّ (ت: 1150هـ): **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد حقي وآخرين. مركز البحوث والدراسات- جامعة الشارقة. (ط1) 1427هـ.

22. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. 1399هـ.
23. القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش. دار الكتب المصرية- القاهرة. (ط2) 1384هـ.
24. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى (ت: 1094هـ): **الكليات**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة- بيروت.
25. الماوردي، علي بن محمد البغدادي (ت: 450هـ): **النكت والعيون**. تحقيق: السيد بن عبد المقصود. دار الكتب العلمية- بيروت.
26. مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ): **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
27. المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى (ت: 1386هـ): **بحث حول تفسير الفخر الرازي**. غير مطبوع. نسخة المكتبة الشاملة.
28. الواحدي، سميحة: **منهج الرازي في الرد على النصارى في تفسيره مفاتيح الغيب**. رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية- جامعة لخضر- الجزائر. 1413هـ.